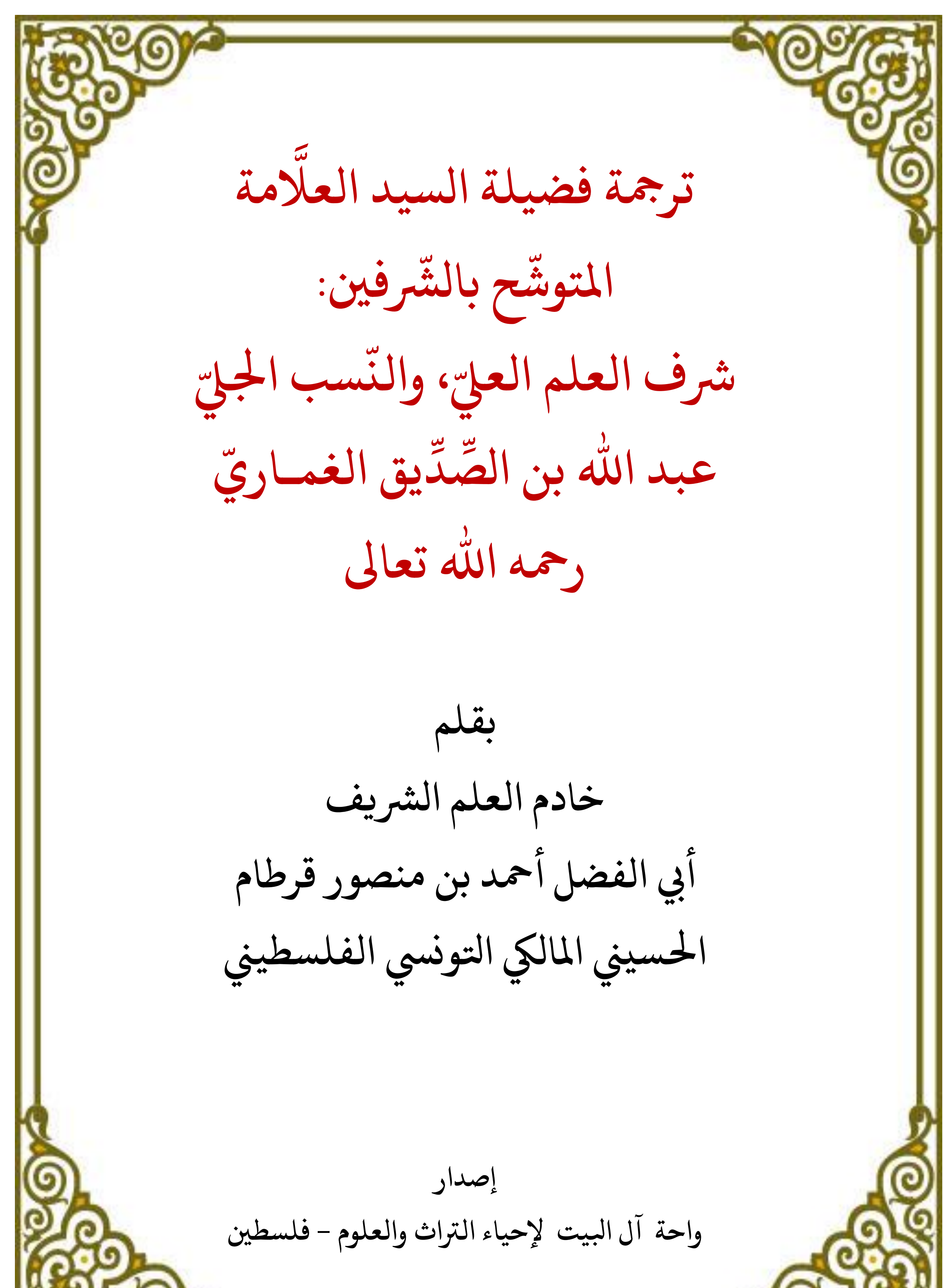


ترجمة فضيلة السيد العلَّامة المتوشّح بالشّرفين: شرف العلم العليّ، والنّسب الجليّ عبد الله بن الصِّدِّيق الغمـاريّ رحمه الله تعالى

بقلم

خادم العلم الشريف

أبي الفضل أحمد بن منصور قرطام

الحسيني المالكي التونسي الفلسطيني

إصدار

واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم - فلسطين


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اَلْـحَمْـدُ لِلَّـهِ رَبِّ الْعَـالَـمِينَ

وَالصَّـلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّـدِنَا مُحَمَّـدٍ وَعَلَى آلِ بَيْتِـهِ وَصَحْبِـهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَعَلَى كُـلِّ مَنِ اهْتَـدَى بِهُـدَاهُ، وَاتَّبَـعَ خُطَـاهُ، إِلَى يَـوْمِ يَلْقَـاهُ.

ترجمة فضيلة السيد العلَّامة

المتوشّح بالشّرفين: شرف العلم العليّ، والنّسب الجليّ

عبد الله بن الصِّدِّيق الغمـاريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اسمـه وكنيتـه:

هو السيد العلَّامة الفقيـه الأصـولي، المفسِّـر اللغـوي، المسـند الشـاعر، الحـافظ المجتهد، المتفنن في شتى العلـوم، وريـث المعقـول والمنقـول، وحيـدُ عصــره وسـيِّد مِصـره، الوليُّ الصالح المجاب الدعوة، سليل العترة النبوية الطاهرة، سيِّدي ومـولاي أبو الفضل عبد الله بن شمس الدين محمَّد بن محمَّد الصِّدِّيق بن أحمد بن عبد المؤمن الغماري الإدريسي الحسني المغربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

نسبـه:

يعــود نســبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ مــن جهــة الأب والأم إلى ســيدنا ومولانــا رســول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فهـو: عبد الله بن محمَّد بن محمَّد الصِّدِّيق بن أحمد بن محمَّد بن قاسم بن محمَّد بن محمَّد بن عبد المؤمن الغماري الطنجي بن محمَّد بن عبد المؤمن بن علي بن الحسن بن محمَّد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بـن سـعيد بـن

مسعود بن الفضيل بن علي بن عمر بن العربي بن علّال ـ وهو علي باللهجة المغربية ـ بن موسى بن أحمد بن داود بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامـل بن الحسن الـمُثنَّى بن الحسن السبط بن سيدنا الإمام علي ومولاتنا الطـاهرة فاطمـة الزهراء بنت مولانا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ.

وأمُّه حفيدة الإمام العلَّامة الـولي المشـهور سـيِّدي أحمـد بـن عَجيبـة الحسـني، صاحب تفسير "البحر المديد".

مـولـده:

وُلد رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى يوم الخميس غُرَّة رجب الفرد 1328 هجـري الموافـق 7 يوليـو 1910 رومي بثغر طنجة.

نشأتـه ودراستـه:

نشأ رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى في رعاية والده رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى وبه تأسَّس، فتعلم على يديه مبادئ العلوم الشرعية، واستأنس وكرع من حياضـه، وتـأدب بآدابـه، وبحضـــرته جـالس العلماء الأفذاذ والصالحين، وحفظ القرآن ثم حفظ بعض المتـون، ومعظـم منظومـة الخراز المسـماة "مـورد الظمـآن"، وجملـة كبـيرة مـن الألفيَّـة، والأربعـين النّوويـة، والأجرومية، وقرأ بلوغ المرام، ومختصر الشـيخ خليـل، ثـم قـرأ شرح الأزهـري على الأجرومية.

رحلاتـه:

أ) الرحلة إلى فاس:

سافر رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى إلى فاس بـأمر والده رَحِمَهُٱللَّهُ تعـالى لطلـب العلـم في جامعـة القرويين ـ وهي من أعرق وأقدم الجامعـات في العـالم الإسـلامي كالزيتونـة بتـونس

والأزهر بالقاهرة والنّظامية ببغداد ـ فقرأ فيها اثني عشر فنّاً مـن الفنـون الشـرعية المتعارف عليها في تلك الجامعات العريقة ـ والتي يجب على كل عالم تحصيلها ـ كـ: "شرح المكودي مع حاشية ابن الحـاج"، و"شرح ابـن عقيـل"، و"حاشـية السـجاعي"، و"شرح الخرشي على مختصر خليل"، و"شرح البخاري" للقسطلاني، و"المحلي على جمـع الجوامع"، و"التوحيد" لابـن عاشر، و"رسـالة الوضـع"، و"شرح القويسـني على السُـلَّم"؛ وأثناء إقامته بفاس اجتمع بالسيِّد محمَّد بن جعفر الكتاني، كما أجازه السيِّد مهـدي العزوزي الذي يـروي عـن السـيِّد مرتضـى الزبيـدي المتـوفى عام 1205 هجـري بواسطتين، ثم رجع إلى طنجة بعد أن كرع وتضلَّع وصـار مقـدَّماً على جميـع أقرانـه، فدرَّس بالزاويـة الصِّـدِّيقيَّة واجتمـع عليـه النـاس، وظهـرت عليـه آثـار الصـلاح والتحقيق والنّظر.

ب) **الرحلة إلى مصر**:

في أواخر شهر شعبان عام 1349 هجري الموافق ينـاير 1930 رومي سـافر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف، ومن الجدير بالذكر أنه قد حـلَّ على الأزهـر عالماً متضلِّعاً متقناً دون أن يُظهر ذلك؛ تواضعاً للعلم وأهله، وطاعـةً لـوالده رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، تكسوه آداب طالب العلم، فكرع من حياضـه الـتي تجعـل مـن الطالـب في عُرف الأزهر عالماً.

فقـرأ: "شرح الملـوي على السُـلَّم"، و"حاشـية الصـبَّان"، و"جمـع الجوامـع بشـــرح المحلّي"، و"الرسـالة السـمرقنديَّة" في آداب البحـث والمنـاظرة، و"شرح الإسـنوي على منهاج الأصول للبيضاوي"، و"تهذيب السعد بشـرح الخبيصـي" في المنطق، ثـم اتجـه

للفقه الشافعي تلبيةً لرغبة والده رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، فحضـــر في "المـنهج" لشـيخ الإسـلام زكريا الأنصاري، و"شرح الخطيب على أبي شجاع".

كما حضر دروس شيخ الإسلام العلَّامة محمَّد بـن بخيـت الــمُطيعي في التفسـير، و"الهداية" في الفقـه الحـنفي وفي حاشـيته على "شرح الإسـنوي على منهـاج الأصـول" وأجازه إجازةً عامة، وقد تقدَّم لامتحان العالِمِيّة ـ عالمية الغرباء ـ فحصل عليها، ثـم حصل على عالِمِيّة الأزهر ـ والامتحان فيها باثني عشر فنّاً ـ، حتى إن شيخ الأزهر قال في حَقِّه: "إن الأزهر ليفتخر بحصول الشيخ عبد الله على شهادة العالِمِيّة".

ولمزيد حرصه على تحصيل العلوم الشرعية، ونزولاً عند رغبة والده رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعـالى أن لايدع عالماً إلا ويجلس بين يديه، كان يؤم بيوتات العلماء، فسُخِّرت له الأسـباب وفُتحت له الأبواب، ورزقه المولى رَحِمَهُ ٱللَّهُ القبـول عنـد الخـواص والعـوام، وفي هـذا دليلٌ على صلاحه وبركته وعلوّ كعبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

شيـوخه:

تلقى شيخنا العلوم على أكثر من مائتي عالم، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

1) **والده شيخ الإسلام العلَّامـة محمَّـد بـن محمَّـد الصِّـدِّيق الغمـاري الإدريسـي الحسني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (1295 - 1354 هـ).

2) **شقيقه العلَّامة المجتهد أحمـد بـن محمَّـد بـن الصِّـدِّيق الغمـاري الإدريسـي الحسني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (1320 - 1380 هـ).

3) **العلّامة الشيخ مَحمَّد بن محمَّد الحاج السلمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (1332- 1387 هـ).

4) **العلَّامــة الشــيخ القــاضي العبَّــاس بــن أبي بكــر بنــاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (1301 – 1392هـ).

5) **العلَّامـة القاضي الشيـخ محمَّـد بـن الحســن بـن محمَّـد بـن أحمـد الغــازي الحسيني الشهيـر بالصنهاجي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (1305 - 1365 هـ).

6) **العلَّامة الشيخ أحمد بن الجيلالي الأمغاري الحسني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت 1352 هـ).

7) **شيخ الجماعة العلَّامة القاضي عبد الله بن إدريس بن أحمد العلـوي الحســني الفضيلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (1291 - 1363 هـ).

8) **العلَّامة القاضي الشيخ عبد الحفيظ بن محمَّد الطاهر بن عبد الكبير الفـاسي الفهري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (1301 – 1383هـ).

9) **العلَّامــة الشيــخ محمَّـــد إمــام بـن إبـراهيم الشبـراخيــتي الشهيــر بالسقــا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (1283 - 1354 هـ).

10) **العلَّامة الشيخ محمَّـد بـن إبـراهيم الحميـدي السـمالوطي المصــري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (1273 - 1353 هـ).

11) **العلَّامة الشيخ عبد القـادر بـن توفيـق شـلبي الطرابلســي المـدني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (1295 - 1369 هـ).

12)**العلَّامة الشيخ أحمد بن محمَّد بن محمَّد الدلبشاني الموصلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

13) **شيخ جامع الزيتونة وشيخ الإسلام المالكي العلَّامة محمَّد الطاهر ابن عاشـور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (1296 - 1393 هـ).

14) **العلَّامة الشيخ عمر بن حمدان بن عمـر بـن حمـدان المحـرسي المـكِّي المـدني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (1291 - 1368 هـ).

15) **العلَّامة الشـيخ يوسـف بـن إسـماعيل بـن يوسـف بـن إسـماعيل النبهـاني الفلسطيني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت 1350 هـ).

16) **العلَّامة الشـيخ بـدر الديـن بـن يوسـف بـن بـدر الديـن الدمشـقي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت1304 هـ).

17) **العلَّامة الشيخ محمَّد راغب الطباخ الحلبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت1370هـ).

18)**العلَّامة الشيخة آمنة بنت عبد الجليل بن سليم الذرا الدمشقيَّة** رحمها الله.

مـؤلفـاتـه:

أَلَّف شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ العديد من المصنفات، كلها نافعـة نفيسـة مفيـدة، تـدل على بعد نظره وعمق غوصه على عويص المسائل، مما جعله يلحق بركب السلف من حيث الفهم والاستدلال وطريقة التأليف، بل فاق الكثير منهم، والدليل على ذلك أنه ألـف كتباً لم يُسبق إليها، وله مؤلفات قل نظيرها، منها:

1) رفع الإشكال عن مسألة المحال.
2) تمام المنة ببيان الخصال الموجبة للجنة.
3) التّوقّي والاستنـزاه عن خطأ البناني في معنى الإله.
4) بِدَع التفاسير.
5) ذوق الحلاوة ببيان امتناع نسخ التلاوة.
6) الفوائد المقصودة ببيان الأحاديث الشاذة المردودة.

7) أمنية المتمني في تحريم التبني.

8) حسن التفهم والدرك لمسألة الترك.

9) إعلام الراكع الساجد بمعنى اتخاذ القبور مساجد.

10) كيف تشكر النعم.

11) إعلام النبيل بجواز التقبيل.

12) اتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء.

13) الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين.

14) كمال الإيمان بالتداوي بالقرآن.

15) الحجج البينات في إثبات الكرامات.

16) نهاية التحرير في حديث توسل الضرير.

17) المعارف الذوقية في أذكار الطريقة الصديقية.

18) الإعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام.

19) حسن التلطف في بيان وجوب سلوك التصوف.

20) الأحاديث المختارة في الأخلاق والآداب المسمى الغرائب والوجدان.

21) النفحة الإلهية في الصلاة على خير البرية.

22) سمير الصالحين.

23) أولياء وكرامات النقد المبرم لرسالة الشرف المحتم.

24) سلسلة الطريقة الشاذلية الصديقة.

وله أقوال انفرد بها عن كثير من العلماء، وله تحقيقات لم يُسبق إليها مـع تواضـع قلَّ نظيره، ومن صور تواضعه التي تدل على صلاحه، تنبيهـه على أخطائـه الـتي وقـع فيها وتراجعه عنها.

من كرامـاتـه:

تعرَّض رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى لمحن كثيرة معلومة عنـد كثـير مـن النـاس على اخـتلاف أجناسهم، وخاصة طلاب الأزهر الشريف، لاسيما المحنة الكبرى الـتي سـجن فيهـا ظلماً أحد عشـر عاماً، ففي عهد جمال عبـد النـاصر أُدخـل للسـجن بتـدبير مجـرم مغربي أكرمه غاية الإكرام فدبر له مع حفنة من علماء السوء بالاشتراك مع المباحث المصرية تهمة التجسس لحساب فرنسا على الجزائر، على أثرها حكم عليه بالإعـدام بعد أن أُحيلت أوراقه إلى قاض قبطي نصراني، وهذا ما لم يحدث لمسلم مصـري مـن قبل، زيادة على كونه عالماً أزهريّاً، حيث إن المسلم تحال أوراقه إلى مفتي البلاد، وبعد إصدار الحكم أقسم للصحفيين الذين كانوا ملتفين حوله أنـه لـن يعـدم، فتعجبـوا منه، فلم يمر بعدها شهران على القاضي النصراني حتى ألقى بنفسـه مـن سـطح بيتـه منتحراً، وقد ظهرت في هذه المحنة كراماته، ولاحت في الأفق علاماتـه، وهي موثَّقـة عند كثير من الأفاضل، سخَّر الله كتابتهـا بتفاصـيلها؛ ليظهـر لـك حـال صـاحبها المتفاني في حبِّ الله، والذي لايشغله سواه.

ومنها أنه رأى وهو في سجنه سيدنا علي بن أبي طالب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ومعه سيدي أحمد البدوي ماسكاً بيده ويسيران فوق السطوح، فعندما اسـتيقظ جهـز نفسـه وحاجتـه للخروج من السجن وعندما مرّ عليه السجان أخبره الشيخ بأنه خارج من السـجن للتوّ فنظر إليه السجان مستهزئاً كعادته وأكمل تفقده للمساجين وإذا بإدارة السجن تنادي على السجان للحضور إليها فإذا به يفاجأ بقرار الإفراج عن الشيخ.

ومنها وفي أثناء زيارته لخالته بعد انقطاع طويل مـن الشـيخ عنهـا بسـبب كـثرة ارتحاله لطلب العلم ومفارقته الوطن وكذلك بُعد دار خالته عن مدينة طنجة وعنـد وصوله إلى دارها وقرعه لبابها فتحت الباب بنت خالته وعنـدما رأتـه أُغـمي عليهـا

وهي لاتعرفه وبعد أن استيقظت وحسن حالها أخبروه أنها كانت تصرع وبعـد تلـك الحادثة لم يعد يصدر ذلك منها، عندها ألف رسالته المشهورة "قرة العين بأدلة إرسال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إلى الثقلين".

وفـاتـه:

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعـالى يـوم الجمعـة 19 شـعبان 1413 هجـري الموافـق 12 فبرايـر 1993 رومي، ودُفن بجوار والده رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعـالى بالزاويـة الصِّـدِّيقية، الكائنـة بشـارع القادرية بمدينة البوغاز المعروفة بطنجة في شمال المغرب.